الطرح المفاهيمي ومشكلة الفشل المدرسي

بداك شبحة

ملخص

تحتل مشكلة الفشل المدرسي بصفة عامة بما فيه الرسوب المدرسي مكانا بارزا في تفكير المشتغلين في مجال العلوم التربوية والسيكولوجية[1]، فهي مشكلة تسبب قلق وتوتر الآباء، ويعاني منها التلميذ والمدرس. وهذه الحالة تؤدي إلى الفقدان في العملية التعليمية التعلمية وتقلل من عائدها، وتؤدي إلى زيادة تكلفتها، كما أنها تؤدي إلى إعاقة النمو العقلي للتلميذ وتلعب دورا هاما في عدم تكيف التلميذ مع الجو المدرسي، مما يجعلها أحد عوامل هروب التلميذ من المدرسة لتمثل بذلك هدرا للطاقة البشرية، حيث تتعطل نسبة كبيرة من هذه الطاقة، والتي يكون المجتمع في أمس الحاجة إليها، فما هي ماهية وطبيعة هذه المشكلة؟ وما هي أسبابها وكيف ينظر إليها ويتعامل معها المفكرون السيكولوجيون والتربويون على وجه العموم؟ هذا ما سنحاول طرحه في هذه المداخلة.

الكلمات الدالة: النظام التربوي – الرسوب المدرسي – الفشل المدرسي – التعلم.

مدخل

يعتبر التعليم من أهم المقومات لأي مجتمع ناجح فهو مفتاح التقدم والازدهار، وهذا ينطبق على بلادنا الجزائر، ويظهر هذا في مشروع المجلس الأعلى للتربية، حيث نجد أن المنظومة التربوية من أولى أولويات الدولة باعتبارها مشروع الجزائر الوطني لدخول القرن الواحد والعشرين[2].

يلعب التعليم بمختلف مراحله دورا جوهريا في تطور حركة المجتمع، وذلك لأنه يركز على تنمية العامل البشري، ذلك العامل الذي يعد أساس كل تطور وتنمية، بل يمكن القول بأنه اقتصر فقط على مجرد عمليات

التحديث والتطوير المادية دون أن يواكبه على الطرف الآخر على مستوى العلم والكوادر المتعلقة بالأفراد، فإنّ التطور المادي سوف يندثر لعدم وجود القدرة على الحفاظ عليه.

لاشك أنّ كل مجتمع بحاجة إلى كوادر علمية مؤهلة في مختلف مجالات الحياة وقادة لاكتساب العلوم والمعارف والعمل على تنميتها، ولعل مجتمعنا العربي عامة، والمجتمع الجزائري خاصة أحوج ما يكون إلى الاعتماد على القوة الذاتية من أبنائه. وعلى هذا قد عرفت المنظومة التربوية في الجزائر تطورات كبيرة وخطت خطوات عملاقة في العملية التربوية بداية بطرائق تقليدية، التي صوبت جل اهتماماتها للمادة التعليمية متحملة بذلك فرد التلميذ على أنه أهم عنصر في العملية التعليمية، وصولا إلى الطرائق والمناهج المعاصرة التي أرجعت الاعتبار للتلميذ، فأصبح مركز الاهتمام الذي يلعب دورا هاما في العملية التربوية. والدور الذي يلعبه التلميذ داخل الفصل، قد يظهر من خلال سلوكياته التي تظهر بعض سماته الشخصية، والتي تؤثر في التحصيل الدراسي ومدى توافقه مع نفسه وتفهمه لذاته وتقديره لها وخصائصه النفسية والانفعالية من حيث دافعية التعلم.

لقد وجدت بعض الدراسات التربوية أنه لا يمكن الفصل بين الجوانب المعرفية وغير المعرفية في التعلم، لأن الجوانب غير المعرفية ترتبط أساسا بوظيفة الدماغ، وتعمل كقوة محركة للخطط المعرفية والبنية الفكرية، فقد يؤدي الفشل المدرسي في بعض المواقف الأكاديمية إلى مشاعر الاكتئاب مثلا، وقد يزداد الأمر سوءا إذا حدث الفشل رغم جهود الطالب المتكررة التي بذلها في الدراسة، مما يدل على انخفاض القدرة العقلية عنده بالإضافة إلى دراسة (Okun et Fourent 1993) ودراسة (الهواري والمشناوي 1989) التي توصلت إلى وجود علاقة بين التحصيل الدراسي ومستوى تقدير الذات، ويتفق علماء النفس أن اكتساب الفرد لمهارات مختلفة يسعى للمضي قدما في تلازم مع تقدير الذات الإيجابي لديه كشرط أساس للنجاح في المدرسة.

إنّ للفاشل دراسيا سلبيته لا تتوقف عند حد عدم استفادة المجتمع منه وتأثيره على مراحل تطوره، إنما ينعكس على جملة المشاعر والأحاسيس السيئة منها: الإحساس بالعجز واليأس واضطراب صورة الذات، وهذا كله على عكس المتفوق دراسيا السعيد بحالته تلك ووضعيته الدراسية التي توفر له الراحة والصحة النفسية وتقدير ذات مرتفع.

تعريف الفشل المدرسي:

ليس هناك اتفاق بين علماء النفس والتربية حول مفهوم محدد عن الفشل والتخلف المدرسي، فمنهم من يربطه بالذكاء، ومنهم من يربطه بالقدرة على التحصيل الدراسي والحفظ والتذكر والإدراك وغيرها من العمليات العقلية المرتبطة بالقدرة على التحصيل[3].

لفظا: عرّف على أنه ضرر كثير أو قليل في نمو شخصية التلميذ عند تحقيقه لمتطلبات الخطة الدراسية[4].

اصطلاحا: هو ذلك العجز في التحصيل الدراسي[5]. ويسمى الأطفال المتأخرين (جماعة الرفاق الأغبياء). تعددت تعاريف الفشل الدراسي حسب العلماء:

1 – تعريف فادية كامل حمام: الفشل الدراسي حالة تأخر أو تخلف أو نقص أو عدم اكتمال التحصيل نتيجة لعوامل جسمية أو اجتماعية أو انفعالية[6].

2 – تعريف يوسف مصطفى القاضي: هو ظهور ضعف ملحوظ في تحصيل التلميذ الدراسي بالنسبة للمستوى المنتظر من التلاميذ العاديين في مثل عمره الزمني[7].

3 – تعريف أحمد محمد الزغبي: الفشل الدراسي مشكلة دراسية تظهر على شكل تأخر في مستوى التحصيل عن المستوى المتوسط، بحيث يكون هذا المستوى عند التلميذ أقل من مستوى قدرته التحصيلية الحقيقية[].

4 – تعريف فوزي محمد جبل: الفشل الدراسي هو التأخر في التحصيل عن متوسط الأقران[8].

5 – تعريف محي الدين عبد العزيز: إنّ الأطفال المتأخرين دراسيا هم جماعة العاديين الأغبياء أو مجموعة الحد الفاصل بين العاديين وضعاف العقول[9].

6 – مفاهيم التأخر الدراسي والتخلف والفشل والفرق بينها: لقد جاءت كل من كلمة التخلف والإخفاق والفشل للإشارة إلى ضعف مستوى التحصيل الدراسي للطفل، كما هو الحال عند بورت وشونويل ولوجال، بينما يستعمل البعض الآخر عبارة بطيء التعلم ليحملها المعنى نفسه. كما هو الشأن في أعمال فرزستون ومصطفى فهمي، وهناك جماعة أخرى مثل عزيز حنا تبنت مصطلح التأخر الدراسي الذي شاع بين الأوساط التعليمية وانتشر بسرعة[10].

وهناك من سمى التخلف بالتأخر وهذا ما يراه رابح تركي الذي يقول إنّ كلمة التخلف أو الفشل الدراسي تشير إلى فئة من التلاميذ يوصف أفرادها بهذا الوصف بناء على درجة الذكاء[11].

تعريف انجرام: يعرف (Ingram) التلميذ الفاشل دراسيا بأنه: الذي لا يستطيع تحقيق المستويات المطلوبة منه في الصف الدراسي ويكون متراجعا في تحصيله الأكاديمي مقارنة بتحصيل أقرانه من الفئة العمرية نفسها والصفية.

نستنتج مما تقدم أن التأخر الدراسي هو نقص في التحصيل التعليمي والفرق بين المتخلف والمتأخر دراسيا، هو أن المتخلف لا يستطيع رفع مستواه ويستطيع متابعة دراسته بصفة عادية إذا ما أزيل العامل المعوق الذي كان السبب في تأخره الدراسي[12].

أما فيما يخص الفشل الدراسي فهو ناجم عن تأخر التلميذ في دراسته، ولكن في أغلب الحالات قد يكون الفشل ناجم عن الصدمة أو عن عجز التلميذ عن الإجابة في وقت الامتحان، أو يكون التلميذ غير متأخر دراسيا. فالتأخر الدراسي لا يعني أن الطفل فاشل نهائيا لأنه يستطيع أن يتدارك ما فاته، لأن النجاح في الامتحان ليس مقياسا سليما...

والفرق بين التأخر والتخلف والفشل، هو أن المتأخر بإمكانه تحسين مستواه أما المتخلف، فهو عاجز عن ذلك، والسبب يرجع إلى مستواه المنخفض في الذكاء، والمتخلف لا يستطيع تحسين مستواه ومتابعة الدراسة بصفة عادية، غالبا ما يفصل من المدرسة، أما الفاشل فقد يكون تلميذا متأخرا أو متخلفا أو فاشلا نتيجة لصدمة في وقت الامتحان، وقد يحدث هذا مثلا في شهادة الباكلوريا[13].

الواقع أنّ كل هذه المفاهيم تتضمن معنى واحد وهو تدني أو انخفاض المستوى الدراسي للتلاميذ، فالمتخلف في دروسه هو البطيء هو المتأخر هو الفاشل

هو الإخفاق والنتيجة النهائية واحدة، إما الرسوب أو التسرب أو الطرد النهائي[14].

التفوق الدراسي:

التعريف اللغوي، معناه فاق: تفوق على قومه، فاقهم، وتفوق ترفع عليهم.

أما اصطلاحيا: هو من وصل أداءه إلى مستوى أعلى من مستوى العاديين في مجال من المجالات التي تعبر عن المستوى العقلي الوظيفي للفرد بشرط أن يكون ذلك المجال موضع تقدير الجماعة[15].

خصائص الفاشلين دراسيا:

لقد لقت ظاهرة الفشل الدراسي اهتماما عالميا واسعا في الأوساط العلمية منذ بداية القرن العشرين، ففي 1905 طلبت السلطات التربوية من أفريد بينه (Binet) دراسة مشكلة الفشل الدراسي عند تلاميذ المدارس[16]، وبعد ذلك تلت الدراسات المتعلقة بهذه المشكلة التربوية والنفسية والاقتصادية، فدرست أبعادها وأسبابها وطرق علاجها، كما نجد العالم برسكوت الذي اهتم بأزمة الطفل الغبي الذي يرى الأطفال الآخرين الذين في عمره الزمني نفسه، يتعلمون ويعملون أشياء كثيرة ويعجز عن تعلمها أو عملها بسبب ضعف القدرة، وهنا تظهر مشاعر الارتباك والفشل والخيبة والاحتقار لذاته بالإضافة إلى الانعزال والانطواء[17].

يظهر الفشل الدراسي في المراحل الأولى من التعليم كأن يكون الطفل غير مستعد للدخول إلى المدرسة فلا يفهم ما يقدم له الصف، كما يتميز الطفل الفاشل دراسيا بالكسل كالنقص في بعض الهرمونات التي تنشط الجسم أو لقلة في الانتباه، والتعب العقلي خاصة أوقات الامتحان وكثرة المواد الدراسية، مما يصيبه بالإرهاق العصبي الذي يؤدي بدوره إلى الرسوب المدرسي وتكرار السنة نتيجة فشل التلميذ في الحصول على آليات التعلم كالقراءة والحساب، بالإضافة إلى انشغال الوالدين عن التلميذ أو نوع المعاملة التي يتلقاها منهما، كما أن أغلبية الأطفال الفاشلين دراسيا عانى من حالات سوء التغذية في السنوات الأولى من العمر، وقد يعاني من الارتجاف أو التوتر ونقص الذكاء أو الضعف العقلي، وضعف الذاكرة واضطراب الفهم وقلة الاهتمام بالدراسة وعدم القدرة على أداء العلاقات بين الأشياء، مما يضعف القدرة على التحصيل الدراسي[18].

أما انفعاليا فيتميز الفاشل دراسيا عامة بالقلق وعدم الأمن والخمول والبلادة والاكتئاب العابر وعدم الثبات الانفعالي والشعور بالذنب والشعور بالنقص والغيرة والحقد والخجل، والاستغراق في أحلام اليقظة وشرود الذهن[19]، كما يتميز الطفل الفاشل دراسيا بالتبول اللاإرادي وقضم الأظافر ومص الأصابع واللجلجة في الكلام وغيرها من السلوك المضطربة، وذلك راجع إلى إحساسهم بالفشل والنقص والنبذ من المدرسة ومن المنزل ومن أقرانهم، مما يشعرهم بالإحباط واليأس وعدم تقبل الذات، مما يقلل من الدافعية للإنجاز والتحصيل والتكيف المدرسي، بالإضافة إلى الإهمال في أداء الواجبات المدرسية وتأجيل الدراسة لنهاية العام وجهل التلاميذ بكيفية المذاكرة[20].

هذا مع ذكر انعدام الإرشاد التربوي وبُعد بعض المواد الدراسية عن الواقع وعدم مناسبة المناهج وطرق التدريس وعدم ملائمة الامتحانات.

أنواع التأخر الدراسي:

لقد توصل العالم هيرلوك (Hurlk 1927) إلى وضع ستة أنواع أهمها:

1 – التأخر الدراسي العام: وهو الذي يكون في جميع المواد الدراسية التي تلقاها التلميذ في المدرسة

ويتحصل على درجات ضعيفة في كل المواد ويرتبط بالغباء[21].

2 – التأخر الدراسي الخاص: نجده في مادة أو بعض المواد كالحساب والقراءة ويرتبط بنقص القدرات العقلية.

3 – التأخر الدراسي الموقفي العرضي أو المؤقت: ويرتبط بمواقف معينة حيث يقل التحصيل الدراسي عن مستوى قدرات التلميذ مثل التنقل من مدرسة لأخرى، أو موت أحد الوالدين أو المرور بخبرة انفعالية حادة وبزوال الأسباب يتحسن وضع التلميذ الدراسي[22].

4 – التأخر الدراسي الدائم المستمر أو المزمن: وهو فشل متراكم منذ سنوات دراسية سابقة.

5 – التأخر الدراسي الحقيقي أو الوظيفي: وهو فشل دراسي يرتبط بنقص الذكاء والقدرات العقلية التي لا تعمل جيدا.

6 – التأخر الدراسي العضوي الظاهري (غير وظيفي): وهو تأخر دراسي عادي يرجع إلى أسباب غير عقلية، ويمكن علاجه كالمرض والإعاقة أو الإصابة بحادث().

أسباب الفشل الدراسي:

إنّ الفشل الدراسي نادرا ما يرجع إلى عامل واحد فقط، بل يرجع إلى تدخل عوامل عديدة وتشابكها ومن بينها:

– أسباب عقلية: قد يرجع الفشل الدراسي إلى أسباب عقلية كانخفاض مستوى الذكاء أو مستوى القدرات الخاصة.

– أسباب جسمية: إنّ بعض العاهات مثل صعوبات النطق وعيوب الكلام الأخرى تحول دون قدرة التلميذ على التعبير الصحيح، كما أن بعض العاهات الجسمية قد تشعره بالنقص والإعاقة الحسية، كحالات ضعف البصر الجزئي التي لا يفطن إليها المعلم، فيجلس التلميذ في مكان غير مناسب أو ضعف حاسة السمع().

3 – أسباب انفعالية: أكدت دراسات عبد العزيز القصي (1967) أن هناك عوامل تؤثر على التحصيل الدراسي للتلميذ كضعف الثقة بالنفس أو كراهيته لمادة دراسية، كما أثبت دراسة محمود عبد الحميد منسي (1981)، وجود نسبة من الخوف والقلق المرتفع عند التلاميذ يؤدي إلى الفشل الدراسي[23].

4 – أسباب اجتماعية وأسرية: نجد منها الانخفاض الشديد للمستوى الاجتماعي والاقتصادي والمستوى التعلمي للوالدين، وكبر حجم الأسرة والظروف السكنية السيئة وسوء التكيف الأسري والتفكك الأسري وأسلوب التربية الخاطئ.

لقد بينت دراسات عديدة أن أجواء الأسرة تؤثر في تحصيل التلميذ، وخاصة ضعف الوسائل العلمية كالتلفزة والمجلات والكتب واللعب والرحلات وشروط الراحة، أو الانفصال والطلاق[24].

كما أكدت دراسة الباحثان دسيك (1970) وأوسلر (1973) أن هناك علاقة بين مستوى التحصيل الدراسي والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، وقد يكون الفقر من أقوى أسباب الفشل الدراسي[25].

5 – أسباب تربوية أو مدرسية: منها طريقة تدريس المعلم وكثافة البرنامج الدراسي وعدم الانتظام في الدراسة، وبعض القوانين الصارمة في بعض المدارس، الأمر الذي يفرض تصرفات معينة قد تحد من حرية التلميذ، هذه التعليمات المدرسية التي تجعل بعض التلاميذ يسعى إلى تحدّيها، مما يولد لديهم اضطرابات ومشكلات مع الإدارة المدرسية[26]. يصف العالم بول (بوذنغ) النظام التربوي الذي تمارسه هذه المدارس بقوله: يفرض على التلميذ الجلوس على المقعد

لتدوين كل المواد المقررة لمدة طويلة، وانعدام وسائل الراحة المقررة لمدة طويلة قد تصل إلى ساعات طوال، وحرمان التلميذ من اللعب الذي ألفه خارج المدرسة، كل هذا ما يضعه وجها لوجه مع التعليم في أسوأ الظروف[27]، مما يولد اتجاهات سلبية نحو المؤسسة التعليمية وعدم الرضا عن المدرسة.

- استراتيجية المعلمين في التعامل مع الفاشلين دراسيا:

استراتيجية وقائية: حيث يتم وضع القوانين للنظام الصفي، وجعل التلاميذ مندمجين بأعمال مفيدة واستخدام تقنيات مختلفة مثل إعدادهم للدراسة الذاتية وتقليل التعب بإعطاء فترات راحة قصيرة وتغيير النشاطات وتحديد الأوقات المناسبة من اليوم الدراسي لإعطاء التمارين الصعبة.

استراتيجيات التلميحات غير اللفظية: ويمكن استخدامها من خلال النظر إلى التلاميذ المنشغلين في الحديث مع بعضهم أو الطلب منه الاعتدال في جلسته بإشارة معينة.

استراتيجية النظام التأكدي: ويقرر المعلم ما يريد بحزم ويكررها عدة مرات.

استراتيجية التدعيم: وتشمل المدح والثناء للسلوك المرغوب فيه وتقديم حوافز مادية للتلاميذ بتقديم الأنشطة المحببة.

استراتيجية السلوك الضاغط أو المسيطر: وتضم اللوم والتوبيخ واستخدام ضغط المدير والتعبير عن عدم الرضا والنقد والمقارنة مع جماعات أخرى.

استراتيجية العقاب: فرض القيود على التلميذ والسخرية من سلوكه وتوجيه الإنذار له وإجباره على الاعتذار.

استراتيجية التركيز على التلميذ: وتشمل الإرشاد النفسي وتحميل الفرد مسؤولية حل المشكلة بين المعلم والتلميذ.

خلاصة:

أخيرا يمكن القول أن الفشل الدراسي مشكلة يجب أن تأخذ اهتماما كبيرا في تفكير المشتغلين في مجال العلوم التربوية والسيكولوجية والسوسيولوجية والمعنيون بشؤون التربية لما لها من آثار سلبية خطيرة تضر المدرسة والمجتمع، ولهذا يجب التعاون بين المنزل والمدرسة والمرشدين النفسيين والتربويين، لفهم أسبابها ومحاولة توفير الوسائل اللازمة، فهي تستلزم إذن كل الجهود لمحاربتها والقضاء على بعض الأسباب التي أدت إلى حدوثها لمحاولة معالجتها أو الحد من تفاقمها.

المراجع

1. أحمد محمد الزغبي، الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسية عند الأطفال، دار زهران، الأردن، 2002.

2. أحمد محمد الزغبي، علم النفس النمو الطفولة والمراهقة، دار زهران، عمان-الأردن، 2001.

3. حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عين شمس، 1990.

4. حسن منسي، علم النفس الطفولة، عمان، 1998.

5. زكي أحمد عبد الفتاح، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، الإسكندرية، دار الوفاء.

6. عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقها الأساسية، دار العربية للعلوم، 1999.

7. عبد الفتاح غزال، المشكلات السلوكية، مؤسسة النشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

8. فادية كامل حمام، مشكلات الأطفال السلوكية والتربوية وكيفية مواجهتها ومعالجتها، دار الزهراء، 2002.

9. فريدة جيتلي، التأخر الدراسي عند الطفل اللاشرعي في الجزائر، رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة الجزائر.

10. فوزي محمد جبل، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، الإسكندرية، المكتبة الجامعية، 2000.

11. محمد قاسم عبد الله، مدخل إلى الصحة النفسية، دار الفكر، عمان، 2004.

12. محي الدين عبد العزيز، صعوبات التحصيل الدراسي في مادة الرياضيات وعلاقتها بالبيئة الأسرية، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، الجزائر، 1990.

13. مصطفى يوسف القاضي، الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، الرياض، دار المريخ، 2002.

14. المجلس الأعلى للتربية، 1997.